هذه القصة

قصة طفل طهور كالبرد.. ولد يتيماً.. واستمر اليتم يلاحقه ويلاحق طفولته في طرقات مكة ودروبها.. يذيقه المرارة.. يفجعه بأهله وأحبابه..

ويكبر محمد ﷺ وتكبر غربته.. ويكتشف في دروب الحياة يتماً أكبر من يتمه.. وهمّاً أثقل من همِّه.. فالأرض كلها يتم.. والبشرية تئن هماً وحزناً يعصر قلبها..

الجزيرة العربية كانت غابةً من الأصنام.. وأوديةً تسيل دماءً بريئة.. تسيل عادات بالية وتقاليد محيرة..

ماذا يفعل أمامها.. وماذا بيديه حيالها.. ماذا يفعل سوى الغربة مهرباً وملاذاً.. يناجي بها ربه ويعج إليه بالتوحيد والدعاء.. وفي غربته الشعورية تلك تهبط عليه الرسالة.. فيحمل الأمانة وينحدر بها نحو مكة.. نحو أمته فينطق بها بهجة وبشرى لهم.. وينتظر الإجابة.. وتأتي الإجابة على غير ما يتمنى ويحب.. تأتي الإجابة سياطاً وشتائم وتكذيباً له وهو الذي يلقب بالأمين.

فماذا فعل الأمين ﷺ مع هؤلاء؟

الإجابة كانت أكثر من خمسين عاماً من فنِّ التعامل مع الغير.. نقشها ﷺ في قلوب من حوله وقلوب غيرهم ممن دبَّ على هذه الأرض إلى قيام الساعة.

الإجابة سيرة لم تكن ماضياً أبداً.. بل شعلة توقد شموس الحياة.. ودماء تتدفق في عروق المستقبل والأجيال.

سيرته ﷺ في مكة هي واقع هذه الصحوة التي تهز أركان الأرض من أقصاها إلى أقصاها.. ولا بد لهذه الصحوة من أن تشرب من النبع الذي شربت منه في مكة.. لا بد لها من أن تتقد بشعلتها الخالدة وإلا تحولت إلى رماد تذروها الرياح والأهواء.

أحاول في هذه السيرة - القصة أن أبسط ما أمكن.. أن أجعل هذه الأحداث سهلة في متناول الجميع.. خاصة من لا يبحثون عن التعقيد أو التفريع.. لذلك صغتها وربطت بين أحاديثها الصحيحة، لتكون قصة لا روايات أحداث متفرقة فقط.

فالحمـــد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته إن كنت قـــد وفقت في ذلك.. فالتوفيق منه وحده.

وأرجوه الصفح والغفران إن كنت قد زللت..

محمد الصوياني

obeikandl.com